المظاهر الحضارية عند الجرامنتس

إعداد
د. خالد آدم أحميدة
استاذ مساعد بقسم التاريخ/ جامعة طبرق
Khadam142@gmail.com

الملخص:

تُظهر حضارة الجرامنتس، التي ازدهرت في إقليم فزانيا خلال العصور القديمة، مجموعة من المظاهر الحضارية المميزة. يتمثل أبرز هذه المظاهر في فنون العمارة، حيث تطورت المساكن من أشكال بدائية إلى بناء متقن مع وجود تحصينات دفاعية. كما تعكس المقابر الجرامنتية ارتباطهم بالعالم الآخر، حيث كانت تُبنى بشكل مميز وتحتوي على أدوات زينة تعكس الثقافة المحلية.

إلى جانب ذلك، كان للفنون التشكيلية دورٌ بارز في الحضارة الجرامنتية، حيث بدأت الرسوم والنقوش في بدايتها كأشكال هندسية بسيطة، ثم تطورت لتظهر ملامح بشرية وحيوانية معقدة. تأثرت هذه الفنون بالثقافات المجاورة، مما يدل على تفاعل الجرامنتس مع الحضارات الأخرى.

منهج البحث

سيتبع هذا البحث منهجًا تاريخيًا وصفياً، حيث سيتم الاعتماد على المصادر الأثرية والنصوص التاريخية لتحليل المظاهر الحضارية للجرامنتس. مما يساعد في فهم تطور الحضارة بشكل شامل.

تساؤلات البحث

- ما هي المظاهر الرئيسية للحضارة الجرامنتية في مجالات العمارة والفنون؟
- كيف أثرت العلاقات التجارية مع الحضارات الأخرى على تطور الثقافة الجرامنتية؟
- ما الدور الذي لعبته المعتقدات الدينية في تشكيل هذه الحضارة؟

- كيف يمكن تقييم تأثير الحضارة الجرامنتية على تاريخ شمال إفريقيا بشكل عام؟

هدف البحث: يهدف هذا البحث إلى:

- استكشاف المظاهر الحضارية المختلفة للجرامنتس.
- تحليل تطور العمارة والفنون في سياق تاريخي واجتماعي.
- فهم تأثير الجرامنتس في الحضارات المجاورة وكيفية تفاعلهم معها.

أهمية البحث: تتجلى أهمية هذا البحث في عدة جوانب:

- توسيع المعرفة: يسهم في توسيع الفهم حول حضارة الجرامنتس وأهميتها التاريخية.
- إثراء الدراسات الأكاديمية: يوفر معلومات قيمة للباحثين والطلاب في مجالات التاريخ والأنثروبولوجيا.
- تعزيز الوعي الثقافي: يساعد في تعزيز الوعي بأهمية التراث الثقافي لشمال إفريقيا ودوره في تشكيل الهوية الحالية للمنطقة.

الكلمات المفتاحية : الجرامنتس / حضارة/ عمارة/ فزان/ فنون

Abstrac

The civilization of the Garamantes, which flourished in the region of Fzanya during ancient times, exhibits a range of distinctive cultural features. One of the most notable aspects is architectural art, where housing evolved from primitive forms to well-constructed buildings with defensive fortifications. Additionally, Garamante tombs reflect their connection to the afterlife, as they were built in distinctive styles and contained ornamental items that highlight local culture.

Furthermore, visual arts played a significant role in Garamante civilization, with initial drawings and engravings consisting of simple geometric shapes that later developed to display complex human and animal features. These arts were influenced by neighboring cultures, indicating the Garamantes' interaction with other civilizations.

Research Methodology

This research will adopt a historical and descriptive methodology, relying on archaeological sources and historical texts to analyze the cultural aspects of the

Garamantes. This approach will facilitate a comprehensive understanding of the evolution of their civilization..

Research Questions

- What are the main aspects of Garamante civilization in the fields of architecture and arts?
- How did trade relations with other civilizations influence the development of Garamante culture?
- What role did religious beliefs play in shaping this civilization?
- How can the impact of Garamante civilization on the history of North Africa be evaluated?

Research Objectives

This research aims to:

- Explore the various cultural aspects of the Garamantes.
- Analyze the evolution of architecture and arts within a historical and social context.
- Understand the Garamantes' influence on neighboring civilizations and their interactions with them.

Importance of the Research

The significance of this research is evident in several aspects:

- Expanding Knowledge: It contributes to a deeper understanding of Garamante civilization and its historical significance.
- Enriching Academic Studies: It provides valuable information for researchers and students in the fields of history and anthropology.
- Enhancing Cultural Awareness: It helps promote awareness of the importance of cultural heritage in North Africa and its role in shaping the current identity of the region.

Keywords

Gramint/ civilization/architecture/ Fezzan/arts

المقدمة:

تُعَدُّ حضارة الجرامنتس واحدة من أبرز الحضارات في شمال إفريقيا، حيث ازدهرت في إقليم فزانيا الذي يتميز بموقعه الجغرافي الفريد. يقع هذا الإقليم في قلب الصحراء الليبية، مما جعله نقطة التقاء بين الثقافات المختلفة عبر العصور. تتمتع فزان بموارد طبيعية، مثل المياه الجوفية، التي ساهمت في استقرار المجتمعات الزراعية والرعوية، مما أتاح للجرامنتس بناء حضارة غنية ومزدهرة.

تتجلى المظاهر الحضارية للجرامنتس في عاداتهم وتقاليدهم التي تعكس تفاعلهم مع بيئتهم. كانت المجتمعات الجرامنتية تتبنى نمط حياة يعتمد على التجارة والرعي، مما أسهم في تشكيل هويتهم الثقافية. كما أن العادات الاجتماعية، مثل الاحتفالات والطقوس، كانت تعبيرًا عن الروابط القوية بين الأفراد، وتعكس قيمهم وتقاليدهم المتجذرة في التاريخ.

أما بالنسبة للدين، فقد كان له دور محوري في تشكيل الحياة اليومية للجرامنتس. تأثرت معتقداتهم بديانات محلية وأخرى مستوردة، حيث كانت عبادة الآلهة، مثل الإلهة تانيت، تجسيدًا لارتباطهم بالطبيعة وتقديرهم للقوى الروحية. كما كانت الطقوس الدينية جزءًا لا يتجزأ من حياتهم، مما ساهم في تعزيز الهوية الثقافية والمجتمعية.

وفيما يتعلق بالعمارة، فإن الجرامنتس برعوا في فن البناء، حيث تجسد ذلك في مساكنهم ومقابرهم. تتميز العمارة الجرامنتية باستخدام مواد محلية، مما يعكس قدرتهم على التكيف مع البيئة الصحراوية. كما أن تصاميمهم المعمارية تعبر عن فهمهم العميق للهندسة واستخدام الفضاء، مما يجعل من آثارهم نموذجًا للحضارة التي احتفظت بجذورها عبر الزمن.

من خلال استكشاف هذه المظاهر الحضارية المتنوعة، يمكننا فهم كيفية تفاعل الجرامنتس مع بيئتهم والتحديات التي واجهوها، مما يسهم في تعزيز معرفتنا بتاريخ شمال إفريقيا وثقافتها.

الموقع الجغرافي

بين ربوع جنوب غرب ليبيا وأجزاء من الجنوب الجزائري - تلك المنطقة التي يُطلق عليها الطوارق آزجر - استقر قوم من السكان الأصليين يُعرفون بالجرامنتس. وإذا كانت المعلومات المتوفرة عن تاريخ هذا الشعب مشوبة بالغموض والشكوك، فإن ما دوَّنه المؤرخ اليوناني هيرودوتس في القرن الخامس قبل الميلاد قد أضاء بعض جوانبه. وعلى الرغم من قِلة ما أورده هيرودوتس عن هؤلاء القوم، إلا أن المواقع الأثرية في فزان قد كشفت عن آثار معمارية وأدوات حجرية تعود إلى عصور ما قبل هيرودوتس، تمتد من المائة ألف إلى الثلاثين ألف سنة قبل الميلاد. ولا تزال الكثير من هذه المواقع ماثلة في انتظار الكشف عنها[1].

وإضافة إلى ذلك، ثمة الكثير من الصور والنقوش الصخرية التي لا يعتقد العلماء أنها تعود إلى قبل العصر الحجري الحديث. ولعل أول مرجع كتابي مدوَّن عن الجرامنتس هو ما دوَّنه هيرودوتس، تلاه فجوة استمرت حتى كتب بليني عن حملة كورنيليوس بالبوس ضد هذا الشعب. ومن المعروف أن الجرامنتس طوروا لغة

مكتوبة خاصة بهم تُسمى تيفيناغ، وكانوا يتحدثون إحدى اللهجات الأساسية لمجموعة اللغات المحلية، ويُعتقد أنهم أجداد الطوارق الذين لا يزالون يسكنون تلك المنطقة حتى يومنا هذا[ii](2).

مصدر الحضارة الأصيل وقلب القارة الإفريقية

تُبرز الاكتشافات الأثرية في الصحراء الكبرى دورها المركزي في تطوير الفنون والثقافات القديمة. تُظهر النقوش الفنية، التي يعود تاريخها إلى آلاف السنين، أن المجتمعات التي عاشت في هذه المناطق كانت تتمتع بفهم عميق للطبيعة والإنسان، مما يعكس تطورًا فكريًا وروحيًا متقدمًا (3)

لقد أسهمت هذه الحضارات الصحراوية في تشكيل أسس العديد من الثقافات اللاحقة، بما في ذلك الحضارة المصرية القديمة، من خلال تبادل الأفكار والأساليب الفنية. يُعتبر هذا التفاعل الثقافي دليلاً على شبكة معقدة من العلاقات الإنسانية التي تشكلت عبر الزمن، مما يعزز فهمنا لتاريخ الإنسانية وتطورها.(4)

تُظهر هذه السطور كيف أن الصحراء الكبرى ليست مجرد فضاء جغرافي، بل هي مهد حضاري غني يحمل في طياته قصصًا تتجاوز الزمن، مما يدعو الباحثين إلى إعادة النظر في دورها وتأثيرها على الحضارات القديمة. (5) (خريطة 1) فالاكتشافات العلمية، كعلم الجينات، برهنت على الهوية الإفريقية الأصيلة للإنسان، حتى للصيني منهم. وتعد حضارة الجرامنتس، التي ينتمي إليها أول إنسان عرفه التاريخ، جذر هذه الحضارة الأم التي امتدت شرقًا إلى وادي النيل وبلاد الرافدين، وشمالًا إلى بلاد اليونان والرومان، مؤسسة أكبر شتات عرفه التاريخ البشري(6)

من خلال ماسبق يتضح الدور الكبير لعلم الجينات في تعزيز الفهم العلمي للهوية الإنسانية، مُؤكدةً على الجذور الإفريقية كمنبع للوجود البشري. يتجاوز هذا الفهم التقليدي ويعكس التفاعل العميق الذي شهدته الحضارات القديمة، حيث يؤكد على أن جميع البشر، بغض النظر عن خلفياتهم العرقية، يشتركون في أصل إفريقي مشترك.

تُبرز حضارة الجرامنتس كحلقة وصل مركزية في تطور الحضارات الإنسانية، حيث تُعتبر منبعًا حضاريًا غنيا أثّر على مختلف الثقافات في العالم القديم. إن ارتباط هذه الحضارة بوادي النيل وبلاد الرافدين وبلاد اليونان والرومان يعكس شبكة معقدة من التبادل الثقافي والمعرفي، مما ساهم في تشكيل الأسس التي قامت عليها الحضارات اللاحقة.

تُعد هذه الرؤية التاريخية دعوة لإعادة تقييم دور الحضارات الأفريقية في تاريخ البشرية، حيث تُظهر كيف أن حضارة الجرامنتس لم تكن مجرد حضارة محلية، بل كانت جزءًا لا يتجزأ من النسيج الحضاري العالمي، مما يفتح آفاقًا جديدة لفهم التفاعل بين الثقافات وأنماط الحياة عبر العصور.

فآزجر إذن هي البؤرة الأصيلة للوجود البشري، ومنها انطلقت الهجرات إلى كل قارات العالم، مؤسسة أعرق الحضارات وأعظمها على مر التاريخ(7)

جغرافية الجرامنتس

في القرن الخامس قبل الميلاد، دون المؤرخ الشهير هيرودوتس سجلاته التاريخية الخالدة. ضمن تلك المدونات، أثبت هيرودوتس أن السير لمدة عشرة أيام إلى الغرب من معبد زيوس آمون في واحة سيوة ينتهي بالوصول إلى واحة جالو. ويكمل القول بأن المسير لعشرة أيام أخرى من جالو ينقل المرء عبر رواب من الملح وينابيع وأشجار النخيل المورقة، حيث كان موطن قبيلة الجرامنتس العظيمة [8]

فوفقاً لهيرودوتس، كان الجرامنتس يزرعون الأرض ويضعون التربة فوق طبقة الملح الحافلة بكنوز الطبيعة. كما أنهم كانوا يرتكبون المطاردات ضد سكان الكهوف من الأثيوبيين، الذين كانوا يتفوقون على باقي الشعوب بسرعة خطاهم على الأقدام. وبحسب وصف المؤرخ اليوناني، كان لدى الجرامنتس أيضاً الثيران الخرافية التي تسير إلى الخلف أثناء الرعي، بسبب سمك جلودها وشكل قرونها التي تغوص في الأرض.[9]

وتشير الأبحاث إلى أن أرض الجرامنتس كانت تتسع على نحو هائل، ربما لتشكل نوعاً من الاتحاد الكونفدرالي. فقد قدّر الباحثون وجود عشرات الآلاف من القبور في تلك المنطقة الواسعة، والتي لا تزال تكتنف الكثير من الأسرار والجوانب الغامضة من حضارة هذه القبيلة العريقة[10].

تفيد الروايات التاريخية أن جرمة، عاصمة الجرامنتس، كانت تشهد ازدهاراً وتطوراً ملحوظاً على مدى الألف عام الأولى قبل الميلاد وحتى نهاية القرن الأول بعد الميلاد. بدأ الاستيطان فيها بمساكن بسيطة نحتت على نتوء الجبل، ثم تطورت إلى مستوطنة ذات جدران حجرية وأكواخ من السعف. وفي مراحل لاحقة، أخذت المنازل شكلاً أكثر تطوراً من الطوب الطيني، وأحيطت بسور حصيني كان لغرض حبس المواشي أكثر منه للدفاع .[11]

تشير الحفريات إلى أن هذا الموقع كان أحد أهم مراكز الاستيطان للجرامنتس، حيث بلغت مساحة المستوطنات القائمة على السفح الشمالي وعلى قمة الجبل داخل السور ما يزيد عن ثماني هكتارات، في حين تصل المساحة الكلية للمنطقة المحاطة بالأرصفة أو الجدران إلى ما بين عشرين إلى اثنين وعشرين هكتاراً. هذا الحجم الضخم للاستيطان يؤكد أهمية هذا الموقع ودوره الرئيسي في حياة الجرامنتس وإرثهم الحضاري[12]. فقد بدأ وجود زنككرة* كموطن للأحياء، ثم تحولت إلى مدينة للأموات بعد هجرة السكان في أواخر القرن الأول الميلادي. وهكذا انتقلت الحياة إلى موقع جرمة المرتفع، الذي يبدو أنه كان يغطي مساحة شاسعة من الأرض تصل إلى عشرين هكتارا، ليصبح المركز الحضاري للجرامنتس في القرون التالية .[13]

إن الأبنية المتراكمة في طبقات متعددة تحت مدينة جرمة الحديثة تؤكد استمرار الحياة في هذا الموقع لفترات طويلة، كما أن امتداد خطوط المقابر والفخار على طول وادي الآجال** يشير إلى أن الكثير من الجرامنتس كانوا يعيشون في قرى أو منازل منفردة صغيرة حول هذا المركز الرئيسي [14]

وبذلك نلمس مدى ازدهار الحضارة الجرامنتية وامتداد نفوذها على تلك المنطقة في القرون الأولى الميلادية، قبل أن تتلاشى تدريجيًا في القرون التالية. وتُعد مدينتا زنككرة وجرمة شاهدتان على عظمة هذه الحضارة وتطورها عبر العصور .[15]

الكيان السياسي للجرامنتس

إن حضارة الجرامنتس في الصحراء الليبية كانت عظمى ومتطورة منذ أكثر من عشرين قرناً، كما يؤكد عالم الآثار البريطاني ديفيد ماتينغلي. حكمهم الملوك وسيطروا في أوج حضارتهم على منطقة واسعة من الصحراء تبلغ مساحتها حوالى 300 ألف كيلومتر مربع، مهددين في ذلك الحين المدن الواقعة على ساحل البحر المتوسط وشعوب منطقة جنوب الصحراء في تشاد والنيجر. كانت جرمة عاصمتهم الواقعة في وادي الآجال، أرض منخفضة طولها 150 كيلومتراً وعرضها بين ثلاثة وخمسة كيلومترات من الغرب إلى الشرق بين دهناء أوباري وشاطئ صخري[16] ومن هنا يتضح لنا كيف كانت حضارة الجرامنتس متطورة وذات نفوذ كبير في سياق تاريخي معقد، حيث تفاعلت مع ثقافات أخرى وأثرت في مجريات الأحداث في شمال إفريقيا. إن فهم دور الجرامنتس في التاريخ يعزز من أهمية دراسة الحضارات القديمة، وكيف ساهمت في تشكيل الهوية الثقافية والسياسية للمنطقة.

الأزياء والعادات الثقافية: تجليات الهوية في مجتمع الجرامنتس

فيما يتعلق بلباس الجرامنتس، يصف المؤلف لوسيان أن هذا اللباس كان متنوعًا وثريًا: الرجال ذوو المكانة الخاصة كانوا يرتدون ثيابًا طويلة مفتوحة من الأمام ومثبتة على الكتفين. في الفترة الأخيرة، أصبحت هذه الملابس مصنوعة من القماش المزين بأشرطة ذهبية، بينما في الأزمنة السابقة كانت تصنع من جلود الحيوانات كالأسود والفهود والدببة، وأحيانًا تكون مزينة بأهداب .[17]

أما عامة الناس، فكانوا يرتدون ملابس خفيفة. وفوق هذه الثياب كانوا يلبسون عباءات فضفاضة، وتحتها إما سترة قصيرة مثبتة عند الخصر أو ثوب طويل يمتد من الخصر إلى ما تحت الركبة، وهذا الأخير كان شائعًا خاصة بين النساء.

وفيما يخص الوشم، فقد كان شائعًا بشكل واسع بين الليبيين، ويتركز بشكل خاص على الذراعين والساقين وأحيانًا على الجسم. ويبدو أن الوشم كان مقصورًا على الرجال، وخاصة الزعماء ورؤساء القبائل.[18] وهنا يتضح لنا ثراء وتنوع الثقافة الجرامنتية، مما يساهم في فهم أعمق لهويتهم الاجتماعية والاقتصادية، ويبرز كيف كانت الملابس والعادات تعكس السياق التاريخي والاجتماعي الذي عاشوا فيه.

تصفيف الشعر

كان تصفيف الشعر لدى الجرامنتس يتسم بدقة واهتمام بالغين، كجزء أساسي من عنايتهم بمظهرهم الخارجي وزينتهم. يشير سترابو إلى أن رجال قبائلهم الموريتانية كانوا "يعتنون بتحسين مظهرهم من خلال تضفير شعورهم، وتزيين لحاهم، وارتداء الزخارف الذهبية، بالإضافة إلى تنظيف الأسنان وتقليم الأظافر". كما تؤكد مصادر أخرى، بما في ذلك النقوش المصرية الشهيرة، أن هذه العادات كانت شائعة بين الليبيين بشكل عام[19].

كان للجرامنتس أسلوب فريد في تصفيف شعورهم، حيث كانوا يرفعونها إلى الوراء فوق رقابهم، وأحيانًا يجدلونها في ضفائر صغيرة تتدلى منها أهداب إلى الأمام، مما منحهم مظهرًا جانبيًا بارزًا. كما كانت عادة ارتداء

ريش النعام على الشعر شائعة بينهم، ولم تقتصر هذه السمة على الجرامنتس فحسب، بل ظهرت أيضًا بين قبائل ليبية أخرى.

لقد كان تنوع تصفيفات الشعر بين القبائل الليبية واضحًا للمؤرخين القدماء، الذين أشاروا إلى إمكانية التعرف على قبيلة معينة من خلال أسلوب شعرها المميز. يعكس هذا التنوع اهتمامًا عميقًا بهذه المجتمعات بزينة مظهرهم الخارجي وسعيهم لتحسين جاذبيتهم الشخصية[20].

تُظهر هذه الفقرة كيف أن تصفيف الشعر لدى الجرامنتس لم يكن مجرد سلوك جمالي، بل كان جزءًا لا يتجزأ من الهوية الثقافية والاجتماعية، مما يعكس اهتمامًا عميقًا بالمظهر الخارجي كوسيلة للتعبير عن الذات والانتماء. هذا التحليل يفتح المجال لفهم أعمق للمعاني الثقافية المرتبطة بالمظهر الشخصي في المجتمعات القديمة.

الحياة الاقتصادية عند الجرامنتس

عاش الجرامنتس، سكان هذه البقاع الأفريقية الخصيبة، في حالة من الازدهار والثراء غير المسبوق. تمتعت أراضيهم، التي احتوت على الواحات متنوعة النباتات بحيث تلبي جميع احتياجاتهم. انتشرت أشجار النخيل الفخمة، ذات السعف الرفيع وثمارها اللذيذة ، في أرجاء الصحراء، مما أبرز ثراء التنوع البيولوجي في المنطقة.

تراوحت منتاجاتهم الزراعية بين القمح والشعير، إضافةً إلى الكروم والخضراوات، فضلاً عن الفواكه الشهية كما اشتهر الجرامنتس بتربية الماشية المتنوعة، بما في ذلك الثيران والغنم والماعز والخيول، التي وفرت لهم القوة والغذاء الضروري [21] .

أشارت التحليلات العلمية لمخلفات هذه الحضارة العريقة إلى ثراء اقتصادهم، حيث وُجدت في قبور وادي الآجال بقايا سلع ثمينة مستوردة، مما دل على ازدهار تجارتهم. وبفضل موقعهم الاستراتيجي في قلب الصحراء، لعب الجرامنتس دور الوسطاء البارعين في تجارة القوافل، حيث سيطروا على الواحات ومنافذ الطرق التجارية. كان العقيق الأحمر من أهم سلعهم التجارية، وتشير المصادر التاريخية إلى أنهم كانوا المسؤولين الرئيسيين عن تصديره إلى مختلف أنحاء العالم القديم.[22] خريطة (2-3)

مع هذه الموارد الطبيعية الوفيرة والنشاط التجاري المزدهر، عاش الجرامنتس في رخاء وثراء لا يُضاهى مقارنةً بشعوب تلك الحقبة التاريخية الصعبة[23].

الديانة:

عبدت قبيلة الجرامنتس مجموعة من الآلهة، تجمع بين المعبودات المحلية والأخرى المستوردة نتيجة للاختلاط الثقافي مع الشعوب المجاورة. ومن بين الآلهة الليبية البارزة التي عبدها الجرامنتس، تبرز الإلهة تانيت (Tanit)، المعروفة بلقب "سيدة الصحراء" و"حبيبة القمر"، التي تمثل سر الينابيع المتدفقة [24]

لقد اعتنق الفينيقيون أيضًا عبادة تانيت، ورأوا فيها تجسيدًا للإلهة عشتار (Ashetar)، زوجة بعل حامون. وكانت تُصور بشكل مثلث متساوي الساقين، حيث تتوج قاعدتهما قرص الشمس، مما يعكس ارتباطها بالعناصر

الطبيعية. وقد كان شعار الإلهة تانيت يتكون من رمحين متقاطعين، مما أضفى عليها دلالة رمزية تعبر عن القوة والحماية [25].

عبد الجرامنتس أيضًا الإله جارما(Garama) ، الذي يُعتبر جدهم الأول وابن الإله أبوللو. كما اعتنق الجرامنتيون عبادة الإله الليبي زيوس أمون، الذي يقع مقره في واحة سيوة. ويُحتمل أن عبادة هذا الإله انتقلت إلى الجرامنتس عبر قبائل النسامونيس .[26]

علاوة على ذلك، مارس الجرامنتس الكهانة والتنبؤ بالغيب مستندين إلى تقاليد قديمة، حيث كانوا يقضون الليل على قبور أسلافهم، معتقدين أن الأحلام التي تراودهم خلال النوم تحمل دلالات غيبية.[27]

وبذلك، يمكن القول إن ديانة الجرامنتس كانت تعتمد على مزيج من الآلهة المحلية وأخرى مشتركة مع الحضارات القديمة، وخاصة الشرقية منها. أما بالنسبة للديانتين اليهودية والمسيحية، فلم تُظهر الشواهد التاريخية انتشارًا لهما بين قبائل الجرامنتس، رغم وجود تعاطف وانتماء بين أبناء الدوناتية في إقليم طرابلس، نتيجة الاستيطان الأجنبي الذي عانى منه الليبيون وحالة القهر التي تعرضوا لها. [28]

العمارة والفنون عند الجرامنتس:

يمكننا دراسة فن البناء أو العمارة الجرامنتية من خلال محورين رئيسيين: الأول يتعلق بالمساكن التي عاش فيها الإنسان الجرامنتي وما يرتبط بها من مرافق للاستخدام اليومي، والثاني يتعلق بالقبور التي دُفن بها موتاهم.[29]

فيما يخص المساكن، يمكننا تتبع تطور البناء عند الجرامنتس بدءًا من الفترة الأولى لاستقرارهم في منطقة جبل زنككرا. وقد تم التعرف على هذه المخلفات المعمارية من خلال الحفريات التي أجرتها بعثات محلية وأجنبية في منطقة جرمة وما حولها، حيث تشير الدراسات إلى وجود عدد كبير من المساكن البدائية على قمة جبل زنككرا [30].

أما خلال المرحلة الثانية، التي تلت استقرار الجرامنتس على منحدرات جبل زنككرا، وقبل بناء مدينة حرمة، فقد كانت المباني تُنشأ من الطين والأحجار المشذبة، مع استخدام الملاط والطلاء لإضفاء لمسات جمالية، وكانت الأرضيات جيدة، مع وجود أعمدة تدعم هذه المساكن.[31]

تجسد مرحلة النهضة المعمارية الجرامنتية بعد إنشاء مدينة حرمة، حيث أُحيطت المدينة بسور وخندق للدفاع ضد الغارات الخارجية. وقد توفر في المدينة كل ما يلزم لحياة راقية، بما في ذلك الحمامات والمعابد وبيوت واسعة وأسواق. تعود هذه الفترة إلى القرن الأول الميلادي، ويظهر بوضوح في مدينة جرمة تأثيرات إغريقية وجرامنتية، مثل التيجان الدورية والأيونية والكورنثية والأفاريز، بالإضافة إلى التأثيرات الرومانية [32]

تُعتبر القرون الميلادية الأولى فترة ازدهار ملحوظة في مدينة جرمة، حيث يُظهر ذلك من خلال تصميم المساكن وزخرفتها، بالإضافة إلى شبكات تصريف المياه المحسنة. كما أن موقع المدينة وتحصينها بواسطة سور وخندق يعكسان المستوى المتقدم من التخطيط العمراني الذي بلغته في تلك الفترة .[33]أما فيما يتعلق بالجانب الثاني من البناء عند الجرامنتس، وهو المقابر، فقد كان الاهتمام بها أقل مقارنةً بالمساكن، حيث اقتصرت العناية في المقابر

على الطبقة الحاكمة أو الأثرياء. وتُعتبر أقدم المقابر التي تم الكشف عنها في الجبانة الملكية بمدينة جرمة، حيث بُنيت القبور على شكل مربع مع درجتين، بالإضافة إلى أشكال أخرى تتسم بالطابع الجرمّي، ويتراوح ارتفاعها بين مترين وخمسة أمتار .[34]

كما تم العثور على مقابر مستديرة ذات لحود صغيرة وغير عميقة، حيث كان يتم دفن الموتى في وضع يشبه الجنين في الرحم. وقد كشفت هذه المقابر عن أدوات زينة مصنوعة من العظام والحجارة. من الأنواع المهمة التي استخدمها الجرامنتس في دفن موتاهم هي المقابر المعروفة بالموز، والتي تُعتبر أضرحة كبيرة يُعتقد أنها كانت تُعتبر مساكن للأرواح في الأساطير القديمة. ومن المحتمل أن هذا النمط من المدافن قد انتقل من قرطاجة إلى نوميديا، ثم إلى الجرامنتس، حيث انتشر في إقليم المدن الثلاث، مع وجود نماذج في مدينة جرزة تُظهر أصالتها الليبية بعيدًا عن التأثيرات الرومانية.[35]

تميزت القبور الجرامنتية بأشكال متنوعة من شواهد القبور، منها ما كان على شكل مسلة من الحجر الرملي بارتفاع لا يتجاوز مترين، أو على شكل معين، وبعضها على شكل قرنين أو هلال، وهو رمز الإلهة "تانيت"، أو حتى على شكل كف اليد. وقد تأثرت هذه الرموز بعوامل ثقافية من الشرق والغرب. [36]

أما بالنسبة للفنون، فقد كان الجرامنتس يتقنون الرسومات الجدارية. التي كانت في بداياتها تعبر عن أشكال هندسية تعبيرية غير واقعية تفتقر إلى الحركة. ومن أبرز المواقع التي تم العثور فيها على هذه الرسوم والنقوش .[37]هي زيجزا (Zigza) في شمال فزان، وغنيمة في الجنوب، وجبل زنككرا قرب مدينة جرمةلكن الفنون شهدت تطورًا في الفترات اللاحقة، حيث أصبحت أكثر واقعية وحيوية، مع ملامح بشرية واضحة. نلاحظ هذا التطور في الرسوم الجرامنتية المتأخرة، خاصة في حركة رسوم الحيوانات التي تم تصويرها[37].

الخاتمة

في ختام هذا البحث، يتضح أن حضارة الجرامنتس في إقليم فزانيا تمثل نموذجًا غنيًا ومعقدًا من التجربة الإنسانية، حيث تجلت فيها مظاهر حضارية متفردة تعكس تفاعل الإنسان مع بيئته وثقافاته المجاورة. لقد أسهمت العمارة الجرامنتية، من مساكن ومقابر، في تشكيل هوية ثقافية مميزة، مما يعكس براعة الحرفيين وقدرتهم على التكيف مع الظروف الطبيعية.

كما أن الفنون التشكيلية، التي تطورت من أشكال بدائية إلى تعبيرات أكثر حيوية وواقعية، تُظهر كيف استلهم الجرامنتيون إلهامهم من محيطهم الثقافي، مما جعل فنونهم تعكس عمق تجربتهم الروحية والاجتماعية. وفي هذا السياق، تجلى تأثير العلاقات التجارية مع الحضارات المجاورة، حيث ساهمت في إثراء ثقافة الجرامنتس وتعزيز تفاعلهم مع العالم الخارجي.

علاوة على ذلك، فإن الممارسات الاجتماعية والدينية لدى الجرامنتس، بما في ذلك الطقوس الجنائزية ومظاهر العبادة، تعكس فهمهم العميق للكون ودورهم فيه. وقد كانت هذه الممارسات جزءًا لا يتجزأ من حياتهم اليومية، مما يعكس توازنهم بين العالم المادي والروحاني.

إن دراسة الحضارة الجرامنتية لا تقتصر على مجرد استعراض الماضي، بل توفر لنا دروسًا قيمة حول كيفية بناء المجتمعات وتفاعلها مع التحديات المختلفة. فبينما نغوص في تفاصيل هذه الحضارة، نجد أن إرث الجرامنتس لا يزال حاضرًا في الذاكرة الثقافية لشمال إفريقيا، مما يستدعي منّا الحفاظ على هذا التراث ودراسته بعمق أكبر.

بهذا، نختتم بحثنا، آملين أن يسهم في تعزيز الفهم حول حضارة الجرامنتس وأهميتها في تشكيل تاريخ المنطقة، وأن نواصل استكشاف غنى تراثها الثقافي الذي لا يزال يلهم الأجيال الحالية والمقبلة

التوصيات

- تعزيز البحث الأثري: يُوصى بزيادة الدعم للبعثات الأثرية في إقليم فزان لاستكشاف المزيد من المواقع الأثرية المتعلقة بالجرامنتس، مما يسهم في جمع معلومات إضافية حول أسلوب حياتهم.
- توثيق التراث الثقافي: من الضروري توثيق العادات والتقاليد والممارسات الثقافية للجرامنتس من خلال مقابلات مع الأجيال الحالية، لضمان الحفاظ على هذا التراث ونقله للأجيال القادمة.
- دراسة الفنون التشكيلية: يُنصح بإجراء دراسات متعمقة حول الفنون التشكيلية للجرامنتس، بما في ذلك الرسوم والنقوش، لفهم تأثيرها على فنون الحضارات المجاورة.
- تحليل التأثيرات الخارجية: يجب دراسة تأثير الثقافات المجاورة، مثل الإغريقية والرومانية، على الحضارة الجرامنتية لتحليل كيفية تشكل هويتهم الثقافية عبر الزمن.
- تنظيم ورش عمل علمية: يُوصى بتنظيم ورش عمل وندوات علمية تجمع الباحثين والمتخصصين في مجال التاريخ والأنثروبولوجيا، لتبادل المعرفة حول الحضارة الجرامنتية وتعزيز البحث الأكاديمي في هذا المجال.
- تطوير البرامج التعليمية: ينبغي تطوير برامج تعليمية تتناول تاريخ الجرامنتس وحضارتهم، لتعزيز الوعي الثقافي لدى الشباب وتعريفهم بأهمية هذا الإرث الحضاري.
- تشجيع السياحة الثقافية: يُنصح بتشجيع السياحة الثقافية في إقليم فزان، من خلال تسليط الضوء على المواقع الأثرية والحضارية، مما يُسهم في دعم الاقتصاد المحلي وزيادة الوعي بتراث الجرامنتس.
- إعداد دراسات مقارنة: يُستحسن إعداد دراسات مقارنة بين الحضارة الجرامنتية وحضارات أخرى في شمال إفريقيا، لتسليط الضوء على الخصائص الفريدة والتشابهات التي يمكن أن تعزز فهم الحضارات القديمة.

باتباع هذه التوصيات، يمكن تعزيز فهم المظاهر الحضارية للجرامنتس في إقليم فزان وتقدير أهمية هذا التراث الثقافي في السياق التاريخي الأوسع.

الملاحق

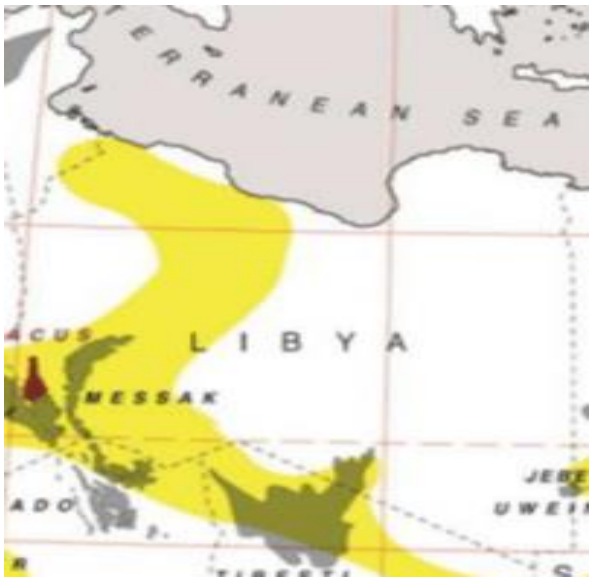

خارطة 1تبين مواقع الفن الصخري في ليبيا

After: Marina Gallinaro Saharan Rock Art: Local Dynamics and Wider Perspectives, Art, 2013, p. 351.

خارطة2 توضح خطوط التجارة التي تصل مناطق الجرامنتس مع مصر, ساحل شمال إفريقيا و إفريقيا جنوب الصحراء

After: Lucia Mori, Between the Sahara and the Mediterranean Coast: the Archaeological Research in the Oasis of Fewet (Fazzan, Libyan Sahara) and the Rediscovery of the Garamantes, Roma, 2010.

خارطة 3 لاتينية مأخوذة من مخطوط يرجع إلى القرن الحادي عشر و هي مأخوذة من مخطوط القدم يظهر في الخارطة سلسلة التلال الرملية وهي تمتد من وادي النيل حتى المحيط الأطلسي التي أشار لها هيرودوتس أيضا تظهر خطوط التجارة التي تربط ساحل المتوسط بجنوب الصحراء كذلك على الجانب الأيسر ترى قافلة تجارية.

John Speed, Title: A New Map of the Roman Empire, from "A Prospect of the Most Famous Parts of the World", pub. Basse, Location: London, O'Shea Gallery, Picture mumber:BAL42841

قائمة المراجع:

- Abdusalam, Mahir Shaab Ama "The Garamantes Traders of The Desert", Route Educational & Social Science journal, V 7.m 2020

- C. N. Duckworth and D. J. Mattingly 'The biography of Roman vessel glass in the Sahara Desert Things that Travelled, (ed) Daniela Rosenow and others, UCL Press.2018.

- C. N. Duckworth and D. JMattingly 'The biography of Roman vessel glass in the Sahara Desert'.

- C. N. Duckworth and D. J. Mattingly 'The biography of Roman vessel glass in the Sahara Desert'.

- C.C. Law The Garamantes and the trans-saharan enterprise in classical times.

- D. Mattingly and others, Desert Migrations: people, environment and culture in the Libyan Sahara, Libyan Studies 38, 2007.

- D. Mattingly and others, The Archaeology of Fazzan, Vol 1, Libyan studies and Department of Antiquities Tripoli, London, 2003.

- D. Mattting' The Garamantes of Fazzan An Early Libyan State with Trans Saharan Connections" Money'. Trade and Trade Routes in Pre-Islamic North Africa, Eds, A. Dowler and E. Galvin, London, For more information see D. Mattingly and others, The Archaeology of Fazzan, Vol 1, 2011.

- Herodotus 2.32-33, 4174.181-183, Tactius, Ann 3.74, 4.23-26, Tactius Hist 4.50, Lucan Pharaslia 4.679, 4.677-83, and Silius Italicus Punica.

- John T. Swanson, The myth of Trans-Saharan Trade During the Roman Era.

- Lucia Mori, Between the Sahara and the Mediterranean Coast: the Archaeological Research in

- M. G.Rodriguez, death is another country: Mortuary rituals and identity in Fazzan, Libya, MA Thesis, university of Leicester, 2014.

- M. Liverani, ,The Libyan Caravan Road in Herodotus IV.

- O. Bates , The Eastern libyans an Essay, Macmillan And co., limited, London.

- R. Joorde , Roman forays into the interior of sub-Saharan Africa,

- R.c.c. Law, the garamamtes and trans-saharan enterprise in classical times.

- R.E.Pelling, Agricglture and trade amongst the garamantes and the fezzanese: 3000 years of archaeobotanical from the sahara and its margins, ProQuest, 2013.

- R.E.Pelling, Agricglture and trade amongst the garamantes and the fezzanese and Lucia Mori, Between the Sahara and the Mediterranean Coast.

- Raffael Joorde, Roman forays into the interior of sub-Saharan Africa: the mysterious landscape of Agisymba, 2015.

- Sonja Magnavita, Initial Encounters: Seeking traces of ancient trade connections between West Africa and the wider world, Afriques (04), 2013.

- C. N. Duckworth and D. J. Mattingly, 'The biography of Roman vessel glass in the Sahara Desert',.

- Nick Brooks, REVIEW, Aghram Nadharif: The Barkat Oasis (Sha'Abiya of Ghat, Libyan Sahara) in Garamantian Times Published in Antiquity, Vol. 81 Issue 314, 2007.

- John Speed, Title: A New Map of the Roman Empire, from "A Prospect of the Most Famous Parts of the World", pub. Basse, Location: London, O'Shea Gallery, Picture mumber: BAL42841.
- Lucia Mori, Between the Sahara and the Mediterranean Coast: the Archaeological Research in the Oasis of Fewet (Fazzan, Libyan Sahara) and the Rediscovery of the Garamantes, Roma, 2010.
- Marina Gallinaro, Saharan Rock Art: Local Dynamics and Wider Perspectives, Art, 2013.

شبكة المعلومات الدولية:

-https://www.albayan.ae.
-https://www.maghrebvoices.com

---

(1) D. Mattting' ,The Garamantes of Fazzan An Early Libyan State with Trans Saharan Connections" Money'. Trade and Trade Routes in Pre-Islamic North Africa, Eds, A. Dowler and E. Galvin, London, For more information see D. Mattingly and others, The Archaeology of Fazzan, Vol 1. 2011, p187
(2) D. Mattingly and others, The Archaeology of Fazzan, Vol 1, Libyan studies and Department of Antiquities Tripoli, London 2003, p185-193
(3) Abdusalam, Mahir Shaab Amar, "The Garamantes Traders of The Desert", Route Educational & Social Science journal, V 7. 2020, p165
(4) ibid, p166.
(5) Mattting, op.cit, p187.
(6) Sonja Magnavitam, Initial Encounters: Seeking traces of ancient trade connections between West Africa and the wider world, Afriques (04). 2013, pp1-13.
(7) Mattting' op.cit, p49.
(8) Abdusalam, op.cit, p166.
(9) Herodotus 2.32-33, 4174.181-183, Tactius, Ann 3.74, 4.23-26, Tactius Hist 4.50, Lucan Pharaslia 4.679, 4.677-83, and Silius Italicus Punica.181-183.
(10)Abdusalam, op.cit,, p167.
(11) Mattting op.cit,,p187.
(12) R.c.c. Law, the garamamtes and trans-saharan enterprise in classical times. 2002,p184-185.
* يُعتبر جبل زنككرا من المعالم الجغرافية البارزة في مدينة أوباري. في عام 2008، قامت بعثة آثار مشتركة بين ليبيا وبريطانيا، تحت قيادة العالم الإنجليزي ديفيد مَتنجي، بأعمال البحث والتنقيب في سفوح هذا الجبل، حيث تم اكتشاف مومياء بطول 2.25 متر. أظهرت الدراسات أن عمر هذه المومياء يعود إلى سبعة آلاف عام، وقد وُجدت في وضعية الجثو، وهي الطريقة التي اعتمدها الليبيون القدماء في دفن موتاهم. يُعتبر هذا الاكتشاف دليلاً قاطعًا على أن الليبيين القدماء هم من ابتكروا تقنية تحنيط الموتى. وقد استخدموا أوراق النباتات، مثل سعف النخيل، بالإضافة إلى ملح النطرون، في عملية التحنيط. (https://www.albayan.ae)
(13) M. Liverani, The Libyan Caravan Road in Herodotus IV. 2012,p184-185.
**يقع "وادي الآجال" في قلب إقليم فزان، جنوب غرب ليبيا، وهو عبارة عن أخدود أرضي يمتد على مسافة تقارب 200 كيلومتر نحو الجنوب الغربي من مدينة سبها. يُعتبر وادي الآجال من أغنى المناطق في البلاد من حيث الثروات النفطية والمائية، مما يعزز أهميته الاقتصادية والجغرافية. (https://www.maghrebvoices.com ›)

(14) Mattting, op.cit,p50.
(15) Liverani, op.cit,p184-185.
(16) Abdusalam, op.cit, p168.

(17) John T. Swanson, (N.D)The myth of Trans-Saharan Trade During the Roman Era. p582.
(18) Nick Brooks, REVIEW, Aghram Nadharif: The Barkat Oasis (Sha'Abiya of Ghat, Libyan Sahara) in Garamantian Times Published in Antiquity, Vol. 81 Issue 314.,2007, p111.
(19) C. N. Duckworth and D. J. Mattingly, 'The biography of Roman vessel glass in the Sahara Desert',.2018, p136-137.
(20) ibid, p137.
(21) Abdusalam, op.cit p169.
(22) Magnavita, op.cit, pp. 1-13.
(23) M. G.Rodriguez, death is another country: Mortuary rituals and identity in Fazzan, Libya, MA Thesis, university of Leicester, 2007, pp. 2-39.
(24) Lucia Mori, Between the Sahara and the Mediterranean Coast: the Archaeological Research in 2010, p. 26.
(25) C. N. Duckworth and D. J. Mattingly, 'The biography of Roman vessel glass in the Sahara Desert',.,2018, p144-145.
(26) R.E.Pelling, Agricglture and trade amongst the garamantes and the fezzanese and Lucia Mori, Between the Sahara and the Mediterranean Coast. ,2013, p58-59.
(27) Mattingly op.cit ,p54.
(28) Mattingly and others, op.cit, p33.
(29) R.c.c. Law, the garamamtes and trans-saharan enterprise in classical times. p181-182.
(30) Duckworth and Mattingly, op.cit p144-145.
(31) R.E.Pelling,(N.D) Agricglture and trade amongst the garamantes and the fezzanese and Lucia Mori, Between the Sahara and the Mediterranean Coast. p58-59.
(32) Duckworth and. Mattingly, op.cit, p144.
(33) Raffael Joorde, Roman forays into the interior of sub-Saharan Africa: the mysterious landscape of Agisymba., p1-2.
(34) Joorde, op.cit, p1-2.
(35) Pelling, op.cit, p58-59.
(36) Mori, op.cit p25.
(37) Mattingly and others, op.cit p8.
(37) Mori, op.cit p17-19.